

ف ي ر س

لن يعبر إلا إذا

الطبعة الأولى

إصدارات كوهينور أوت 2024

ردمك: 978-9931-272-96-0

الكاتب: ابن عبد الله الحاج محمد

عنوان الكتاب: ف ي ر س لن يعبر إلا إذا

الإخراج الفني: رقيق ميلود

المدير العام: بوسطة نور الهدى

الناشر: دار كوهينور للنشر والتوزيع

إيميل: kohinoorpublishing@gmail.com

هاتف: 0673415440-0783067133

كوهينور للنشر والتوزيع

سيدي بلعباس_ الجزائر



كوهينور للنشر و التوزيع

جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

ف ي ر س

لن يعبر إلا إذا

ابن عبد الله الحاج محمد



كوهينور للنشر و التوزيع

مقدمة

عالمنا مليء، مزدحم.. لا مكان فيه لفرغ.. ونحن من نرسم صورته.. فإن كان الرسّام عبقرياً، فنانا، ملهماً، فإنّ لوحته ستضيق عليه، ولن تستوعب كل أفكاره.. ولسوف يسابق الزمن لاقتناء لوحة أوسع، أو للتقليص من طموحاته، والتركيز على أهمها، وأنفعها..

أما لو ضاقت عليه نفسه، و تملّكته مخاوفه، فلن يجد حينها ما يضيفه، وسيضيع في عالم موازي، خالي من الحركة، عالم يسوده منطق الفوضى، و يصبح فيه الكذب والخداع والدجل، فرصة للنجاة، وتحقيق الأمل..

عندئذ تكون جميع الاحتمالات واردة، ولا يمكن التنبؤ بالنتائج، وهذا ما يفضي إلى عدم الاستقرار، الذي تكون نهايته الاستسلام و الانهزام..

حينها سوف يرى الضوء بعيداً، فلا داعي لأن يقاوم، المهم أن يتحمّل لوحده الظروف..

الخوف وهم نخلقه بأيدينا، ثم ننكبّ على عبادته، لأنه
ببساطة يريحنا.. ويجعلنا نعلّق عليه خيباتنا و فشلنا، يجعلنا بكل
أريحية نردّ سبب تعثرنا ، إلى قوى مجهولة، كالعين،
والشعوذة، والمسّ..

و يكفيك كي تبرّر إخفاقك، أن تدّعي أنك مسحور، ثم تزور
الشيخ فلان، الذي يملك حكمة الزيوت السبعة، و التحكم في
الجن.. بعدها تأكد أنك ستنام و ضميرك مرتاح..!!!
و تيقن أنّك لن تعبر إلى ضفة النجاة، إلا إذا تغلّبت على
مشاعر الخوف هذه، وتمكّنت من العودة إلى سجيّتك، وفطرتك
التي فطرك الله عليها..

ابن عبد الله الحاج محمد



وائل شاب في عمر الجنون.. العمر الذي تحسب أنك تعرف الكثير، ولكنك لا تعلم أن هذا الكثير، لا يساوي شيئاً مقارنة بما تقدمه لنا الحياة كل يوم .. إما كدرس نستفيد منه، أو كصفحة تعاقبنا بها.. وبالنسبة لي، أرى أنها كلها صفحات متتالية.. لا شيء يصفو.. غير أننا اعتدنا بعضها فلم تعد تؤلمنا، أو أننا لشدة تعلقنا بالحياة، أصبحنا نجد لها أعذاراً في صورة دروس..

نعم إنه عمر الجنون.. المعصية فيه كل ما يخالف هواك، والتواضع هو أن تقوم ببعض التكاليف من حين لآخر.. أما العقل فهو أن لا نستعمله طبعاً..

كان وائل يعيش مع أبيه وأمه وأخت كبرى في منزل صغير على أطراف المدينة.. قرية صغيرة يسودها الهدوء، تكاد لا تسمع شيئاً فيها سوى ما يحدث بين أفرادها، ونادراً ما يكون شيئاً مهماً..

يتقاسمون فيما بينهم أحزانهم، أما الفرح فقليل.. ولو قُدر أن طرق باب أحدهم، فإنه يهّم بالتستر عليه خوفاً من العين والحسد.. وكما قيل "داري على شمعتك تقيّد"

(أظنه مثل مصري)..

أضف إلى أن الفرح بطبيعته لا يعدي، عكس الحزن الذي يتفشى بين الأرواح بشكل رهيب.. الجميع يمكنهم أن يحزنوا بمجرد

رؤيتك تبكي.. لكن الذي يشعر بسعادتك لابدّ حتما أن لا يكون
حزينا !!!

قد تتفق معي أن أسرة بسيطة كهذه ستحرمك من اكتشاف
العالم من حولك.. فالأب منهمك في أعباء الزمن .. لا يكفّ عن
الشغل، وبالإضافة إلى فقره الذي ورثه، والذي يحاول جادا
التخلص منه بكسب بعض المال.. هو لا يملك ثقافة السمر
والاستجمام وأخذ قسط من التبسط مع الناس .. ولا يختلط كثيرا
معهم وكل من يعرفهم إما أن يكون قد استدان منهم بعض
النقود، أو أخذ بعض الأغراض لأجل يكون بداية لأجال أخرى لا
تنتهي..

أما الأم ورغم أنها شديدة الذكاء، إلا أنها قليلة الحيلة.. ففي
مثل هذه القرية لا يتزوج الفقراء إلا من أمثالهم .. كأنّ الغنى إثم
كبير لا منافع فيه..

ولقد تواترت قصة خرافية قديمة في المنطقة، أنّ أميرا أحب
فتاة من هذه القرية ..

طبعاً أنت لا تحتاج كي أخبرك أن أباه الملك رفض أن يرتبط
ابنه بها، لكن الأمير ومع إصراره، خطط لخطفها والتزوج بها.. ولقد

كان ذلك سهلا ، فلا أحد من أهلها كان يمانع ذلك .. لقد تمت العملية بنجاح فاق التوقعات.. الفتاة المخطوفة جلبت معها والديها وبعض إخوتها!!

حاول الملك كثيرا إنقاذ ابنه المخطوف لكن المحاولات كلها باءت بالفشل فنساء هذه القرية يمتلكن الذكاء .. ورغم أن هذه القصة خرافية.. إلا أنها كانت أول وآخر زواج بين الطبقتين..

تقوم أم وائل بكل مستلزمات البيت، وكأنها الكائن الوحيد الذي يتنفس داخله، دعك من أنها نادرا ما تمرض أو أنها تمرض دون أن تعلم.. لأنها لم تزر طبيبا في حياتها.. وتشعر أن من بين واجباتها الكثيرة، البقاء على أقدامها.. لا يحق لها أن تتعب، بل لا يحق لها شيء أبدا.. أما الأخت الكبرى لوائل، فلا دور لها سوى انتظار دورها في الارتباط بتعيس تبدأ معه دورة الحياة، دون أمل أو تخطيط ..

الزواج لمجرد الزواج.. ورغم أن هذه الطريقة عشوائية، ولا يمكن توقع نتائجها.. إلا أن النتيجة الوحيدة المضمونة هي استحالة الطلاق، ولن ينفصلا إلا بموت أحدهما.. وأحيانا كثيرة تعجز حتى الموت في التفريق بينهما، فيموت أحدهما تلو الآخر..

وائل شاب سريع الانفعال، لأنه لم يعد يرى ما يصلح للعيش مع هذه الأسرة، كل شيء داكن .. أضف إلى أنه أصبح يختلق المشاكل من أجل أن يبسط هيمنته وغروره.. فإثارة المشاكل تمنحه جزءا من السلطة..

أبوه مثلا، لم يعد يعاتبه على عودته متأخرا بالليل رغم أن هذا كان يضايقه كثيرا، وبعد أخذ ورد، وهات وخذ، ونقاش كان دوما ينتهي بارتفاع الضغط، وتوعد وتهديد، رضخ الوالد لسلطة ابنه وأصبح لا يهتم سوى أن لا أحد يشتكى من وائل العنيد الذي صار يفوز بجولة تلو الأخرى ..

وبما أن الحياة لا تصفو إلا لجاهل أو غافل، أصبحت الساعات التي يقضيها وائل خارج المنزل متسكعا مع أقرانه تروق له وتنسيه غباء الآخرين، وعدم فهمهم لأفكاره ومعتقداته، ويوما بعد يوم صارت الساعات تطول وتطول و وائل لا يعود إلى البيت إلا مع بزوغ الفجر، وكأنه لا يرجع إلا لكي ينام.. ولولا التعب لبقى حيث كان..



الأخت الكبرى التي لا فائدة منها -في قصتنا بطبيعة الحال-
اكتشفت أمرا جعلها تنصدر المشهد في البيت، بل في كل القرية لأن
مثل هذا الخبر في مثل هذا المكان الذي أغلب قاطنيه ناس سدج،
يشبه النفخ على نار متأججة.. ينتشر سريعا .. عجيب كيف
يصدق الناس دون دليل !!

قديمًا قيل أن العهدة على الراوي، وبما أن رواية هذا الخبر
تعددوا، لم يعد هناك جدوى من تحمل العهدة .. الكل يقدم نفسه
شاهدا.. الكل صار يعلم.. نعم جميع السكان عرفوا أن وائل على
علاقة بنوال...! لقد كان يردد اسمها وهو نائم ..

" نوال لا تتركيني.. إني أراك هناك .. اقتربي نوال.."

هذه القصة حدثت مرة واحدة عندما كانت الأخت الكبرى
تتسلى بمضايقة أخيها الملقى على ظهره كجثة في صالون البيت..
والله أعلم إن كانت حدثت فعلا، أم أنها جزء من الأعيبيها..

الأب والأم أخذوا الأمر على محمل الجد... ماذا لو كان الابن على

علاقة بنوال...؟! لكن من تكون هذه نوال..؟

الابن يواصل حياته بشكل طبيعي، وحتى هو صار يروي هذه
القصة، دون أن يعلم أنه صاحبها، فكلما انتقلت الحادثة بين

الألسن، سقط منها جزء .. حتى أصبحت تُحكى عن حاتم ووصول .. وبأنهما كانا يحاولان الهرب، لولا أن أحد الرعاة اكتشف أمرهما... الخ

عادة ما تكون البنت في مثل هذه العلاقات هي الخاسر الأكبر، لكن بشرط أن لا يُعرف الطرف الآخر.. فإن عُرف، أصبح الأمر سيّان بينهما.. أحدهما يلحقه العار، والآخر يلحقه الدمار.. لذلك حاول الأب فك اللغز، والوصول إلى الحقيقة بسرعة، قبل أن يُعرف من تكون نوال..

قد يستطيع إصلاح ما أفسدته الأخت الكبرى على نفسها، وعلى الجميع حينما باحت بهذا السر الخطير.

أما الأم الذكية فأخذت تنتقل من جارة إلى أخرى، تجسّ النبض، وتحاول دحض الإشاعات، بإشاعات أخرى .. عاملة في ذلك بمنطق (داوني بالتي كانت هي الداء)..

صارت تنشر بين الناس أن ولدها يهذي في نومه كثيرا، حتى أنه في الآونة الأخيرة صار يمشي مغمض العينين و يتصرف بغرابة.. أظن أنه مسحور أو مسّه جن .. أو جنية اسمها نوال..

ولشدة ما حاولت الأم ترويح إشاعاتها، بدأ الأب يصدق قصة الجنية.. لأنه ببساطة ارتاح لها، وقد يصدّق المرء ما يحبه، ويكذّب ما لا يحب سماعه.. ولتكن جنية إذن ما دام الأمر بعيدا عن أهل القرية، ولربما يكون معشر الجن أرفأ من هؤلاء عليّ، وعلى إبني..و ما يدريك فنحن لم نخالطهم و لا نعرف عنهم إلا ما شاع من أخبارهم.. نعم إنها إشاعات فقط..!!

أخيرا أخذ الأب في تتبع خطوات إبنة.. لم يدم الأمر طويلا، ولم يكن شاقا.. فخلف أسوار مقبرة القرية العتيقة، يجلس ابنه كل ليلة .. ربما كان المشكل الوحيد هو معرفة ما كان يفعله هناك في هذا المكان المظلم.. كما أنه لم يستطع التأكد من عدد المتواجدين معه.. المهم أنه كان يسمع أصواتا تدل على وجود أكثر من ثلاثة أشخاص.. الراجع أنهم جماعة ..

يحاول الأب الاقتراب منهم دون أن يُحدث صوتا يلفت الانتباه إليه.. لكن الأمور لا تسير دائما كما نحب.. كلبان ضالان يتوجهان إليه بشكل دائري.. كأنهما يقدمان من كل صوب.. ينبحان بشدة.. ينبحان دون توقف.. سيكتشف أمره قريبا حين يعضه أحدهما أو

ينقض عليه الآخر .. لا شك أنهما يحملان في لعابهما آلاف الأنواع
من الأمراض.. أقلها فتكا الطاعون.. لقد بدأ يشعر بالحى والرغبة
في التقيؤ لمجرد رأيتهما يقتربان.. لم يعد قادرا على الحركة ..
" وائل أنقذني.. انقذني يا وائل.."



فجأة يخرج وائل من لا مكان.. مبتسما في هدوء.. يتغير
المشهد.. يختفي الكلبان.. تنقطع الأصوات.. لا يوجد غير وائل
يعانق أباه، وفي ذهول يتوجهان إلى البيت دون أن يقولوا حرفا
واحدا.. يدخل الأب غرفته، وينام وائل في الصالون كعادته.. حتما
سيكون هناك تفسير غدا لكل ما حدث، ولكل ما شاهده الأب..
غير أنه في الصباح يموت الأب.

ككل مرة، وجدت الأم نفسها وحيدة في أصعب موقف قد
تواجهه زوجة تؤمن أن الزوج تاج فوق الرأس.. مهما كانت صفته
أو قدراته أو حدّه في العطاء.. تؤمن أن الرجل في حياة كل امرأة،
ضرورة قصوى، وأن خلاف ذلك، تضارب مع الطبيعة ومع النفس
البشرية السوية، سير عكس التيار..

كان المظهر مهيبا .. صوت الراديو يملأ الغرفة على أنغام
"فات لي فات.. واللي فات مات.."

الأم عاجزة عن البكاء لم تستطع فعل شيء.. لم تنتبه حتى
لصراخ ابنتها وهي تحاول حمل أبيها كي تعيده فوق السرير..

هي لحظات فقط منذ غادرت غرفتها لتعدّ القهوة.. من أجل
أن يبدأ يوم روتيني جديد.. توقظ زوجها مبتسمة في وجهه..
" لا تقلق ستكون الأمور بخير.. "

ربما لم تكن رومانسية، ربما لم يكن الشمع المعطر موجودا في
دارها، ربما لم تكن تجيد التلاعب بنغمات صوتها كفتيات هذه
الأيام..

ربما لم تقل له أنها تحبه .. لكنها كانت تعد له كل ما يشتهي،
كانت دائمة التبسم في وجهه.. لا يهمها إن كان يستحق ذلك، أو أنه
مجرد وغد بائس.. لم تكن تفكر إلا في إسعاده .. وأجمل ساعات
يومها، الجلوس معه صباحا للتحدث عن كل شيء على مائدة
القهوة..

لا أعلم ما كان يدور بينهما، لكنهما كانا يواصلان الحديث،
حتى وهي تحمل الأكواب إلى المطبخ، لتعود مسرعة كي تساعد في
ارتداء القميص.. بالله عليكم أليس هذا هو الحب..
" فات اللي فات و اللي فات مات.. والذكريات.. "

لم تكف البنت المسكينة عن البكاء.. كانت تعانق أباها كأنها تحاول إعطاءه جرعة من الحياة التي تحملها.. بل كلها.. فماذا تفعل هي بالحياة دون أب؟؟!! ماذا تفعل بالحياة بغير حياة.. الأب، سند البيت و تده..

من يحنو على البنت و يأخذ بثأرها..؟ من يداوئها و يشفي ألمها..؟ من يرفعها و ينقلها من ضعف الأنوثة إلى قوة المرأة..؟ من يعطيها الشجاعة لترفض من تشاء و تقبل من تشاء ممن يتقدمون إلى خطبتها..؟ من يمشي جنبها يوم زفافها..؟ أين تضع يدها وهي تزف إلى عريسها..؟ من يسمع أوجاعها...من...؟؟

الأم جاثية.. انتهى الأمر، علمت أخيرا أنها آخر الحكاية .. لاشيء سيعيد الحياة إلى ما كانت عليه .. هي لحظة بين كل شيء، وبين لا شيء..

حاولت الفتاة أن تتمالك نفسها.. لكن دون جدوى.. وفي قرارة نفسها أعادت شريط ذكرياتها مع والدها.. لعلها تجد ما يهون عليها مصيبتها.. نعم لقد كان يقسو علي، كان يعنفني لأتفه الأسباب، كان عصبيا.. شديدا..

كان يحبني.. كان لا يرفض لي طلبا.. يحرم نفسه من أبسط الأمور، من أجل إرضائي.. كان يحملني على كتفه و يخرج بي إلى حيث أريد.. أتذكر أول يوم لي في المدرسة.. وهو يحمل محفظتي، لم يبقى داخل المدرسة أحد من الآباء، غير أبي الذي لم يغادر، أظنه كان يبكي لأنني كبرت.. لقد رأيت احمرار عينيه وهو يقبلني عند خروجي.. كان رائعا.. وحتى لو لم يقدم لي الكثير، لكنه قدم لي كل ما يملك ..



وائل جالس في الصالون يعلم كل ما يدور هناك، لكنه ساكن لا يقوم بشيء كأنه كان يعلم بحدوثه أو كأنه هو من فعل هذا .. !!

على صوت الصراخ والعيول، يطرق الجيران الباب بقوة .. من عاداتهم أن لا يتدخلوا في شؤون بعضهم البعض .. يكفهم أن يعرفوا ما جرى خلف جدران البيوت المجاورة .. منتهى لذتهم أن يعلموا أنهم على الأقل، أفضل من غيرهم لحظة وقوع المشاكل .. لا أحد يدلي بدلوه في سبيل إصلاح الأمور، وأفضلهم طريقة، يتهد عند سماع خبر سيء، ويقول: " يا رب لطفك المهم الصحة " .. كأن صحة الأبدان، أقصى ما يستطيع الله تحقيقه لعباده...أستغفر الله..

لكن هذه المرة الأمر مفرع.. النواح ثقيل، لا ينقطع .. كثير الطرق على الباب، واشتد وقعه.. ومن خلفه لغط كبير.. أزواج يأمرون زوجاتهم بالهدوء .. هناك من يحاول كسر الباب .. أطفال العي يصقون ويصيحون بقوة كأنهم كلاب تعوي..

فجأة يقوم وائل بهدوء من مكانه، وبخطوات متناقلة يفتح الباب، فيندفع الناس إلى الداخل، لا أحد يهتم لوائل، الكل يتبع مصدر الصوت.. ومن يدخل الغرفة يزيد من تشويق الآخرين ..

"المسكين من فعل به هذا؟" .. ثم تعلقو جلبة مهمة.. المكان لا يتسع للجميع.. يجب على من دخل أولا أن يخرج كي يطمئن غيره ويفسح له المجال..

لا أخفي عليكم أن الموت أمر جلل.. لكن الناس يبالغون أحيانا في التعبير عن مشاعرهم، وكلما كانت الأرواح متقاربة، كلما كان الفقد مريرا ..و التأثير قويا، دعك ممن يحاكي الغرب في تعبيرهم، في هدوئهم و تشييعهم لميتهم بوقار.. هي ليست مسألة أخلاق، أنظر فقط كيف يتعاملون إذا أصيب كلهم!!! هي مسألة أولويات فقط ..نحن نحب من نعرفهم أنهم قطعة منا.. والغرب كذلك يفعلون!! و إنني لا ألوم من توجع لانتراع كبده من جوفه ولا أبالي، حينما تكون هذه المشاعر عفوية صادقة حتى و لو كانت صاحبة... أعلم يقينا أن ربك عفو..

أخيرا تمكن بعض الرجال من التسلل إلى الداخل، وبسرعة قاموا بتغطيته برداء أبيض وإزار .. عينه لا تزال مفتوحة .. حاول أحدهم غمضها، لكن دون جدوى.. بؤبؤها يكاد يتدلى.. أصابع يده متصلبة، منقبضة، كأنه حاول الإمساك بشيء، أو أنه أمسك به فعلا، لكنه انفلت منه بعدما مات..

لقد انتقل إلى جوار ربه .. في صباح الغد، شيعه الناس،
وعادوا أدراجهم، لكل واحد دوره، أت لا محالة، هكذا هي الدنيا،
لقد دفنا مئات البشر قبله، أصبح الأمر عاديا، لا ترى حول القبور
غير لافتات مكتوب عليها (في الأعلى ولد في .. / .. / .. وفي أسفلها توفي
في .. / .. / ..) كأن لم يلبثوا فيها إلا قليلا..

عجيب كيف يمضي العمر، و كيف ينسآك الناس بسرعة،
نظن أحيانا أن الحياة ستتوقف في غيابنا.. أو على الأقل ستكون
صعبة.. و لو عاد موتانا إلينا لوجدوا أننا أكملنا من دونهم، الأبناء
كبروا و تعلموا، فرحوا بالنجاحات و لم تحطمهم خيبات الأمل،
بعدها أحبوا و تزوجوا و عاشوا و نسوا !!، الأزواج واصلوا المسير،
بعضهم تزوج من جديد، قاسم حياته مع شخص آخر.. و صار
عليه أن يكون إنسانا جديدا ليكون أسرة سعيدة، عليه أن يترك
الماضي خلفه، عليه أن ينسى من مات .. وفي الأخير نبقى ذكريات
جميلة عند من أحبنا.. لا لن يتوقف الزمن بعدنا، فليرحمنا الله
إذا...

في المساء تحول البيت إلى مأتم .. المعزّون هم من أهل القرية فقط.. ناس بسطاء أغلبهم لا يملك الكثير ليقدمه في مثل هذه الظروف سوى وقته، الذي لا جدوى منه عادة .. يجلسون بالساعات للاستماع إلى المقرئ الذي ينتقي الآيات الكريمة التي تتحدث عن الآخرة والجنة والنار .. كأنه يحاول إرضاء الحضور، رغم أن كل كلام الله تطمئن به النفوس وتهجع له الحواس الحية.. لكن جرت العادة أن لكل مقام مقال، واغتنام الفرص أمر مطلوب، ولن يتمكن قارئ بسيط مثله، من كسب رزقه، إلا في مناسبات قليلة.. كموت أحدهم أو إمامة الناس في ليالي رمضان .. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون..

استغرب الجميع دخول نسوة متأخرات، يتقدمهن رجل شديد البياض، فارع الطول، ضخم اليدين.. يرتدي ملابس فلاح.. وإن قلت لك أن لا أحد من المتواجرات عرفت من تكون هؤلاء النسوة، فلا تستغرب أن الرجل الذي كان يرافقه غير معروف أيضا.. إمتلأ البيت برائحة المسك منذ دخلوا.. والغريب في الأمر أيضا أن المقرئ أخطأ في بضع آيات.. لقد أصبحت أسهمه تهاوى..

حاول أن يستدرك الأمر بأن استهل في الدعاء بصوت رقيق متباكي..
وبأن الميت من أهل الجنة، وحظه من السماء لأنه مات ليلة
الأربعاء -لا أعلم في ذلك فضلا- وأنه كان.. وكان.. وكان .. محاولا
ذكر بعض محاسنه، وإضافة محاسن أخرى، يجب أن تكرر في كل
جنازة، و حتى لو مات الميت وهو يشاهد حلقة الليلة من مسلسل
(المغتصبون) لاعتبره القارئ وليا من أولياء الله الصالحين..

انتهى أخيرا من عرضه لهذه الليلة وخرج مهرولا دون أن يأخذ
أجره، وهو يسعل بشدة.. لحق به رجلان من الحضور وأشارا إلى
وائل عن طريق تحريك السبابة من الأعلى إلى الأسفل، يعنيان أنهما
سيعودان قريبا.. بعده بقليل قام الرجل الضخم من مكانه، مدّ
يده مصافحا وائل الذي مرّر له شيئا لم يره أحد من الحضور،
أثناء المصافحة.. شيء قبض عليه الضخم بشدة وخرج خافضا
رأسه.. وخرجت خلفه النسوة.. لكن الأخت الكبرى لم تتجرع أن لا
أحد تمكن من التعرف على هؤلاء.. فقامت من مكانها ونادت بأعلى
صوتها.. من أنتم؟ ومن أي بلاد جئتم في هذا الوقت المتأخر؟

صمت الجميع.. توقف الباكون عن البكاء.. هناك موضوع جديد يجب الانتباه إليه.. أما قصة الفقيدهم لم تعد تنصدر الأحداث.. هذا نبأ عظيم.. و وقع لم ينتظره أحد.. كل الاحتمالات واردة .. طال الزمن و تمددت الأبعاد.. وصار انتظار لحظة الإجابة عن هذه التساؤلات، كأنها ساعات طويلة، دعى أحدهم ربه سرا أن لا يميته قبل معرفة الحقيقة.. ومن شدة تسارع ضربات قلبها، كادت عجوز أن تفقد وعيها و هي تنصب عرقا .. فعلا إن أمرهن مريب ..كيف لامرأة أن تدخل إلى جنازة و تخرج منها دون أن تقول شيئا.. النساء يتكلمن عادة، حتى و هن نائمات!!! لا بل أن وراءهن ما يقلق حقا .. إن وراءهن ما يخيف!!!

قطرات من الدم تسقط من يد الرجل الغريب الذي كان يقبض على شيء ما .. ربما شيء حاد.. ربما سكين أو سيف .. إن يده كبيرة جدا.. قد يكون أي شيء..

نظر إلى الحضور ثم أوماً إلى صويحاته بالخروج ..تبسم بخبث، ثم أخفض رأسه من جديد، و همس بكلام.. جملة أو جملتين.. جعلت الأخت تسقط أرضا.. بعدها قام وائل مسرعا

مودّعا ضيفه.. و كلمه بصوت منخفض يدل على توقيره له ..
"أرجوك لا تفعل.. لا تؤذها.."

سمع بعض الجالسين ما قاله وائل ..وهرعت الحاضرات
لإسعاف المسكينة التي سقطت مغشيا عليها.. حينها بدأ الناس في
الانصراف كأنهم إكتفوا بما حدث الليلة.. هو موضوع دسم
سيلوكونه أياما و أيام...نعم يكفهم هذا ..

حالة الأخت الكبرى مستقرة.. لقد كانت إغماءة خفيفة
سرعان ما نشطت منها ..وراحت تطلب من حولها بالمغادرة، فالأمر
لا يستدعي كل هذا الهلع..

الأم المسكينة غارقة في ذهول، لم تتحرك من مكانها، لم تتفوّه
بكلمة، لم ترد حتى على سلام المودّعات، لكنها كانت تتمتم
بتساويح، و بالمعوذتين دون توقف، آية الكرسي، و قل يا أيها
الكافرون..

ورغم أن وائل أطفأ جميع الأنوار، إلا أن الأم الذكية باقية على
حالتها، تدعوا الله أن لا تفقد أحدا من جديد، وإن كان و لابدّ
فلتكن هي أول من يلحق بزوجها...!!

بعدها بساعة أو ساعتين، أخذتها إغفاءة، و هي جالسة في مكانها.. لكنها سرعان ما أفاقت فزعة على صوت تكسر زجاج النافذة، كأنّ أحدا قذفه بحجر من الخارج، قامت تتمايل، بالكاد تستطيع قدميها حملها، تسقط على طاولة الصالون، ثم تستعين بها من أجل النهوض مرة أخرى.. تحاول أن تتحاشى الزجاج المتناثر في كل مكان، تسقط مرة أخرى، تحاول أن تقف، لكن دون جدوى.. تواصل التوجه إلى النافذة حبوا على ركبتيها.. تقترب لترى ما يحدث، تلتصق بالجدار، و ترفع رأسها، كأنها تريد و لا تريد معرفة ما يحدث خارجا.. كان المنظر مخيفا... لقد عادت النسوة من جديد..

عرفت وجوههن، كن كأنهن راهبات يرتدين عباءات بحزام وغطاء رأس، يحملن شموعا في أيديهن ، ويتمتمن بكلام غير مفهوم جماعة بصوت واحد..



فجأة ظهر الرجل من بينهن، رفع رأسه، و لم يظهر منه غير
عيناه.. كانتا ملتفتان.. و بمجرد أن نظر إليهما، شعرت الأم أن روحها
تنسل من عروقهها، جسمها ينتفض، جلدها ينسلخ .. إنه يحاول أن
يتلبس بها، عيناها اتسعت كي تسمح له بأن يسكتها.. نار تدخل
جوفها و تمص دمها...

" قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق..."

لقد كان كابوسا مرعبا.. يكاد قلبها أن ينفجر.. يداها ترتعشان،
جف ريقها..

" قل أعوذ برب الناس... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... لا
يجب أن أنام .. قل يا أيها الكافرون..."

رغم أنه كان مجرد حلم، غير أنه كان خيالا ثقيلا وقع
عليها... حتى أنه ترك آثار كدمات داكنة عل معصمها، أما على
الطاولة تناثرت خصلات من شعرها، كأن أحدهم كان يجذبها من
رأسها بشدة، نعم لا يوجد تفسير منطقي غير هذا .. نظرت بسرعة
إلى المرأة، لون وجهها شاحب، هالات زرقاء أسفل عينيها، وعلى
جبهتها (أن خ ه ي ل) .. ما هذا !!

صرخت بأعلى صوتها محاولة مسح الكتابة.. أغرقت وجهها بالماء و الصابون، وبمجرد أن فتحت عينيها من جديد و نظرت مرة أخرى في المرأة حتى وجدت خلفها خيالاً يريد خنقها...آه...!

" أمي لا تخافي أنا ابنتك...باسم الله الرحمان الرحيم..."

هذه الكلمة كفيّلة بطرد الفزع من القلوب، قادرة على أن تجعل النفس تشعر بالراحة والسكينة، باسم الله الرحمان الرحيم، كل الخير و البركة حملتها هذه الكلمة..

غريب كيف ربطها الناس بالخوف والخطر والتردد !! فأصبحوا لا يذكرونها إلا عند اضطرارهم !!

في الصباح الباكر، وبعد أن أخذت الأم أخيراً قسطاً من الراحة، فتحت عينيها، لتشعر بيدها ناعمة لينّة، وهي تحت وجنة ابنتها التي كانت نائمة بجنيها.. شعور رائع أن تلتصق الأجساد المُحِبّة.. أن تشعر بأنفاس حبيبك تنفخ بطيب دافئ يلامس وجهك..

غريب أن بعض ما تعافه النفس عادة، يصبح متعة حينما نفعله مع من نحب !!

لا يمكنها أن تفارق هذه اللحظة، تتأمل وجه ابنتها في صمت،
وتتذكر كيف كانت تحاول أن تقف أول مرة، لتفقد توازنها بعدها
وتسقط على مؤخرتها.. كم كان مضحكا رؤيتها تتعثر بعد بضع
خطوات مشتها.. تتذكر أول مرة نطقت فيها " ماما " ، أو يوم
مرضت بالحمى، و كيف كانت تختبئ خلف أبيها عندما يحين موعد
شرب الدواء ..

عاد بها الزمان بعيدا.. إلى الأيام الحلوة، إلى أوقات كان الفرح
يدبّ في أرجاء البيت، الكل كان سعيدا.. زوجة ودود و أب حنون
وطفلين.. ولد و بنت.. بصحة كاملة.. و رزق الكفاف.. هي الدنيا
وزينتها ..

لكن اليوم تغير كل شيء، وائل أصبح شابا يحاول الاستقلال
بنفسه عن الجماعة، و نادرا ما يجالس البقية، حتى أصبحوا
يجهلون عنه الكثير، وأصبح هو يتجاهلهم، أو يجهل تواجدهم...
و ضرورة تقاسم الحياة معهم...

أخته المسكينة شخص ساذج، لا تفعل إلا ما يُملى عليها،
ولعدم إحساسها أنها تكبر، وأنها قطعة يلتف حولها خيط المصير،
سحب الأب منها جميع التكاليف، واكتفى بأن يحرص على تربيتها
والمحافظة على سمعتها إلى أن يحين يوم زفها إلى نصيبها.. طاهرة
نقية ودودا كأُمها.. ولم يجازف بإعطائها الحرية والمسؤولية
والاستقلال، خوفا من ضياع أنوثتها أو التفريط بها، فلن يجتمع
الأمران أبدا..

لم يهتم إلا لإعدادها كطرف لئِن هَيِّن في علاقة الزواج، التي
يجب أن تكون فيها السكن و الهدوء، وليس عليها أن تجالذ الحياة
وتتحمل قسوة مقارعة الرجال خارجا من أجل لقمة العيش..

هل ستستطيع الأم مواصلة هذا المشوار وحدها ؟ وتحمل
العبء الثقيل بعد وفاة زوجها..؟؟

ما أتعب هذا اليوم، هو أول يوم تسمع فيه زقزقة العصافير،
وتفتح فيه نافذة الغرفة ليتسلل ضوء الصباح ومعه الشعور
ببداية جديدة...

أول يوم تعد فيه قهوة الصباح، و تشم رائحتها التي تنعش
خلايا الجسم و تبث فيها النشاط...

هو أول يوم منذ عشرين سنة لا تجد أحدا كي تقول له:
" صباح الخير" ..

لا فائدة من ترتيب الصينية ووضع الأكواب عليها، لا جدوى
من وضع ملعقة السكر على القهوة، لا لن يجعلها ذلك حلوة
المذاق، ربما ستشربها لمجرد أنها تعودت عليها، ربما ستأكل
وتشرب كي تواصل العيش فقط.. كي لا تصاب بمرض يزيد الأمور
تفاقما!!

توافدت على المنزل الكئيب بعض الجارات كعادة جرت بينهن،
من أجل مواساة أهل الميت، ومن أجل معرفة ما الذي حدث بعد
خروجهن في ليلة أمس..

سعدت الأم بهذه الزيارة ، ورحّبت بقدمهن، ثم نادى على
ابنتها مبتسمة كي تجلس معهن، ريثما تحضر هي ما تضيّفهن به،

ولعلها تكون بذلك قد أجابتهن عن التساؤلات التي حرمتهن النوم وجعلتهن يبادرن القدوم من أول النهار كأنها تقول :

" إبنتي بخير فكفوا عنا ألسنتكم..كلنا بخير "

نعم هي تعلم يقينا أنه بمجرد خروجهن، سيتم موافاة أهالي القرية بالتقرير الأولي للزيارة، كما تعلم أنّ التقرير سيكون مبنيًا على حقيقة، تحيط بها الخزعبلات والأكاذيب الملى الفراغ وجذب انتباه السامعين، وهكذا يكون عادة الإعلام عن خبر جديد..

لكن محاولتها هذه لم تكن مقبولة، لأن لجنة التقصي، لم تلتقي بوائل، الحلقة المهمة في أحداث البارحة، الوحيد الذي يعلم من يكون الضخم و من معه، هو ليس في البيت على ما يبدو أو أنه ربما لم يبت أصلا داخله ..

انتهت مهمتهن دون أن يشفين غليلهن، وعند مدخل الزقاق في الخارج، صادفن وائل وجها لوجه، تنحين جانبا لتركه يمر، لكنه توقف ثم نظر إليهن ..

" إياكن والعودة مجددا، أنا لا أمزح، من منكن تدعى مريم؟"

لم تجبه النسوة وانصرفن مبتعدات عنه دون أن تلتفت منهن
واحدة..

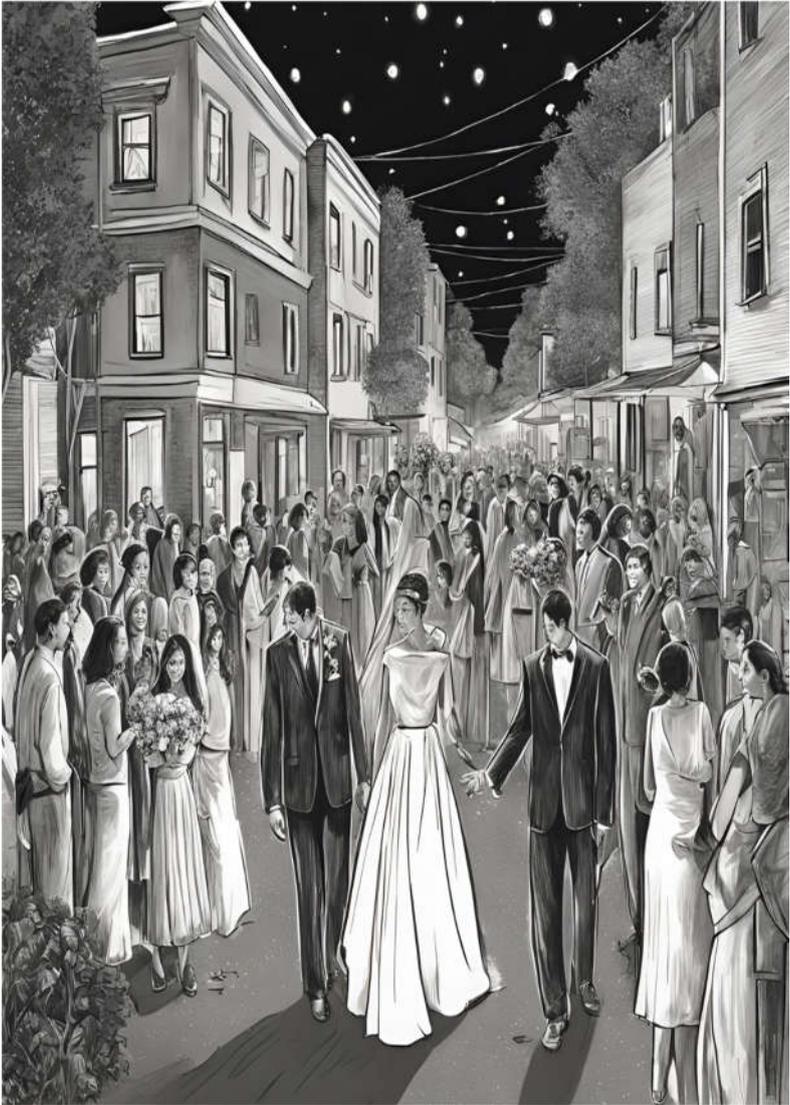
وعند دخوله البيت، وجد أمه تبكي، جلس عندها، وألصق
ركبته إلى ركبها، ثم عانقها وبكى .. !!

الأم هي الملجأ الوحيد للباكي والشاكي، هي الصدر الحنين الذي
لن تكتفي أبداً من البكاء عنده ، ولن أبالغ لو قلت أن حتى دمي
الأطفال تستريح عندما تحملها الأم في المساء، كي تضعها في
صندوق الألعاب...!!

مر أسبوع .. وبدأت الأمور تعود إلى مجاريها، يقال أن هناك
عرس سيقام بعد أيام، قد يكون الوقت مناسباً للأهالي كي ينزعوا
عنهم غشاوة الحزن، وينعشوا أرواحهم ببعض التفاريح ..

طبعاً وائل وأسرته سيكونون من بين المدعوين، ولعل الأم
تقتنص زواجا لابنتها، كي تستريح قليلاً من عبئها، وتسلم الأمانة
لصاحبها كما يقولون..

وكان يوم الفرح، الجميع مبتهج و كل من لديه حلة، أخرجها للعلن، أما الفتيات الشابات، فتنافسن في تجميل أنفسهن وتسريح شعورهن، مع رش أفخر ما يملكن من العطور على ملابسهن، كلهن حلوات جميلات، ما أسعد من سيتزوج بإحداهن مستقبلا، فعلا شباب هذه القرية محظوظون جدا..



مر العرس بخير، و لا أحد ينكر كم كان ممتعا الرقص على
أنغام الموسيقى المتنوعة الطبوع.. راي، شعبي، أندلسي، أما عن
الطعام فلقد كان لذيذا جدا و قد كان مذاقه الطيب من أسباب
انسجام الحضور مع كل أنواع الموسيقى .. و عندنا مثل يقول:
"منين تشبع الكرش، تقول للراس غني"...

لكن في الغد حدث ما لم يكن في الحسبان، جميع أهل القرية
تقريبا، أحسوا بأوجاع في بطونهم بل في كل أعضاء جسمهم، وكثير
منهم خرج إلى أقرب مستوصف، في حالة حرجة، يغلبهم القيء مع
شعور بالدوار..

مستوصف لا تجد فيه أحدا مستعجلا، كل القائمين عليه،
هادئون، يمزحون بينهم، و يستمرّون في المداعبات حتى و لو تقطع
المريض أمامهم.. حتى و لو توقف قلبه أو انفجر رأسه ..

ربما قد تعودوا على رؤية الناس يتألمون، إنهم يشبهون الكلاون
في فيلم الجوكر!! ..

لكن كل هذا شيء، و موت عجوز و زوجها شيء آخر، لم
يستطع جسميما تحمل الوجع، و لقد فارقا الحياة قبل أن تصل

سيارة الإسعاف التي طلبها أحد الذين وصل إلى المستوصف،
وأخبر الطاقم الطبي بكارثة تحدث في القرية..

الأمر تعدى المرض، هو وباء حط على أهل القرية، لقد تم فتح
تحقيق جنائي إثرها، حيث تبين أن التسمم كان ناجما عن أكلة
تناولها الجميع معا..

لن يحدث هذا إلا في اجتماع كالعرس.. إنه العرس لا محالة
لكن ما الذي قد يكون حدث في الطعام ليلتها..؟

قام المحققون باستدعاء أصحاب الفرح، و طلبوا منهم معرفة
نوع المواد التي استخدمت في الطهي، غير أن هؤلاء أنكروا معرفتهم
بشيء و أكدوا أن لا علاقة لهم بموضوع التسممات، فلقد كلّفوا
طاهية من قرية مجاورة من أجل التكفل بإعداد الطعام..

- ما اسمها و من أي قرية هي؟

- هي من قرية (الساقية)، و اسمها.. اسمها.. آه.. لقد كان

اسمها مريم..!!

تم استدعاء الطباخة مريم، و بعد التحقيق معها، تبين أنها
من قرية غير بعيدة، كانت المرأة معروفة بالطبخ في الولايم، و لم

يشتكي أحد من مهارتها قبل اليوم.. كما أنه لم يتبقى شيء من الأكل يمكن أن يتم تحليله أو يفيد التحقيق..

لم تُعلم نتيجة هذا الإجراء، و لم يتم التأكد من شيء سوى أن العجوزين فقدوا الحياة، و لم يتركا خلفهما من يطالب بدمهما أو حتى يقيم لهما جنازة .. دفنا بعد ثلاثة أيام، و انتهى الأمر..

وائل و أسرته لم يحضروا العرس، فلم يمرّ على وفاة الوالد وقت طويل، غير أنه استطاع أخيرا أن يفهم القصة .. و من تكون مريم، التي خالجه اسمها دون أن يعلم عنها أمرا آخر.. أو يعلم ما المصيبة التي كانت تنتظرها.. لكن، من أخبره بهذا الاسم؟ و من أين له أن يحصل على جزء من الخبر قبل وقوعه؟!

ولأنّ أحكام الله لا تسير بمنطقنا دائما، تقدم أحد الشباب لخطبة أخت وائل بعد العرس بأيام، رغم أنها لم تحضره، و لم تتزوّق أو تتجمل لكي تعجب أحدا، مثلما فعلت قريباتها..

قدم المعني رفقة أمه، حاملا معه علبة حلوى، و بعض الشكولاتة...علت زغرودة أرجاء المكان، و حتى لو لم يناسبها

العريس، يكفي أن تعلن قدومه للملأ، كي تغيض من تغيض،
وليعلم الجميع أن ابنتها أميرة حسناء و سيأتها الخاطبون حتى ولو
كانت في قفص !!

كان شابا فارح الطول، يبدو من تسريحة شعره، أنه مدلل،
لكنه خجول، يضع يديه بين فخديه، ناظرا إلى أسفل قدميه..

أما قميصه المزركش، فإنه يعطي انطباعا أنه آخر مرة
سيلبسه فيها، و لو كان للقمصان تاريخ صلاحية، لكانت قد انتهت
منذ مدة..

لا يهم ما دام سيحمل الجمل بما حمل، وأمه تؤكد أنها لن
تمانع أي طلب، وستتحمل جميع تكاليف الزفاف .. إذا وافقت
العروس طبعا..

تمّ القبول المبدئي، تواصلت الزغاريت، كلما دخلت أو خرجت
البنات من الصالون، إما لتقديم الشاي، أو لوضع ما لذّ و طاب
من مختلف الأطباق الحلوة و الفواكه المختلفة..

انتهت الزيارة على أن تتكرر في أقرب فرصة من أجل إتمام
الاتفاق، و إنهاء المحادثات..

طلبت الأم من وائل مشاركتهم هذه المناسبة، فمن غير المعقول أن يظل شارد الذهن، بارد المشاعر، غير مبالي بما يدور حوله..
أخته ورغم أنها تضايقه دائما وتدعي أنه أحق، عديم النفع، إلا أنها تحبه ومهمها رأيه، خاصة في هذه الحثيثة الفاصلة من حياتها.. ولقد وضعت خلافاتها معه جانبا، وراحت من خلفه، تشد بيديها صدره لتضمه إليها واضعة رأسها على ظهره.. فكل أنثى تحتاج إلى ضميم يحنو عليها، ويا سلام لو كان ذلك هو الأب أو الأخ!!!

تلقت إليها وائل وقبل رأسها ثم رفع حاجبيه و تبسّم موحيا إلى قبوله بالشاب المتقدم إليها..

" لكن قبل ذلك سأتقصى خبره، وأعرف ماضيه وما ينوي استقباله في قادم أيامه.. أنت عزيزة علي، ويحز في نفسي فراقك، حتى ولو كان ذلك أمرا محتما لأبد منه على بنات حواء، أن يصرن إلى بيوت أزواجهن، تاركن خلفهن قلوبا موجوعة، تفرض على أصحابها الابتسامة رغم أن داخلهم حطام..

لا تقلقي يا أختي، فمثلك مكتوب لها السعادة، لا محالة.. أما
الآن فحضّري لنا الغداء.. إني جائع!! "

جلسوا جميعا على السفرة المفروشة على الأرض، و لقد أخذ
وائل مكان أبيه، بجانب أمه.. فهي في حاجة لذلك.. كم هو شاق
ومتعب الجلوس مكان الأب...!!

بعد أيام لاقت الأخت فيها نوعا مبالغاً من المعاملة الحسنة،
والحنّية.. عاد وائل إلى ما كان عليه من قبل، بل أكثر مما كان
عليه..

يجلس وحيدا لا يكلم أحدا، ودائما ما يضع يديه على رأسه،
مهموما يتأفف..!!

اقتربت أمه منه، وناولته كأس ماء مثلج، ثم مسحت على
رأسه..

" غدا سيزوروننا، كي نحدّد موعد العرس، ونتّفق على كل
المستلزمات، و أرجو أن تكون حاضرا من أج...."

" لن يتم هذا الزفاف يا أمي ..لن أقبل بذلك!!!"

سقطت من يديها الكأس، و أمسكت يده بقوة شديدة، تكاد تنزعها..

" لماذا ؟.. لماذا تفعل بي هكذا ؟ لماذا تنكّد عليّ حياتي ؟ ألم يكفك أنك كنت السبب في موت أبيك ؟ .. أتظنني لا أعلم...؟"

ثم دخلت في موجة بكاء هستيرية...

قام وائل، و دون أن يحاول تهدئتها، خرج من البيت و عيناه مغرورقة بالدموع..

في المساء عاد على غير عادته مبكرا.. دخل غرفة والده، و نادى أمه..

عرفت الأم أن ابنها سيعدل عن قراره.. لكنها أظهرت له امتعاضها، وعدم تراجعها عن قولها قبل قليل.. دخلت الغرفة وأغلقت الباب بناء على طلبه..

" أمي، أرجو أن تصغي إلى كلامي، و لا تقاطعيني..و أرجو أن تكوني قوية لتحمل ما ستسمعينه، لأن صدري ضاق به، وأن الأوان لكشف المستور.. "

جلست على السرير مندهشة، لأنها لم تره جادا بهذا الشكل قبل اليوم..



ثم واصل كلامه..

" هذا الشاب الذي تقدم لخطبة أختي، لا يملك القدرة الجسدية على الزواج.. أظنك تعين ما أقصد !! أنا لا أحب الخوض في تفاصيل قد تخدش حيائي، الجنس الآخر.. ها فهمت؟ أف.. لا أعلم من أين أتتني الجرأة للحديث معك في موضوع كهذا.. ولكنك الوحيدة التي يمكنها أن تسمع مني.. و المصيبة أن والدته تعلم ذلك، وهي تحاول أن تخفي هذا العار..

وبطبيعة الحال فلن تجد أفضل منا لتنفيذ فعلتها.. وإلا فلم تركت كل الحسنات والفاتنات و تقدمت إلينا...؟! لقد وجدت فينا فرصة لا تعوّض.. أسرة بسيطة، منطوية لا تحب الاختلاط بالناس، مات عائلها مؤخرًا، ابنة ساذجة، وولد اشتهر بالجنون والمجون بين الأهالي...

وإذا قمنا بأي محاولة لكشف الحقيقة بعد الزواج، ستقابلها والدته بخلق إشاعات، مهّدتها لها الظروف من قبل.. كاتهامي بعلاقتي المشبوهة بإحدى بنات القرية، أو أنني كنت السبب في موت أبي، وغيرها..

وكما تعلمين أن الناس هنا، يصدقون هذا فعلا، وحتى أنت صرت تصدقين، بدليل ما قلت لي مؤخرا.. دعك من أنها تحضّر إلى سفرهم إلى فرنسا، فهناك تضيع مثل هذه الحقوق، بل قد يكون هو الطرف المغبون هناك، الذي لا يفهمه الناس ولا يقدرّون أحاسيسه ومشاعره.."

" لكن!! من أين لك بمثل هذا الخبر..؟ مستحيل أن يعلمه أحد.. مستحيل أن تسمح والدته بانتشاره ، إنه وصمة عار.. لو كان ولدي لقتلته.. أما أن أزوجه !!! إنها لجرأة .. بل إنها تطاول على الذات البشرية...!!! "

" دعك من هذا يا أمي، و إليك الكلام الثقيل الآن!! خدي نفسا عميقا.. وتمالكي نفسك أرجوك.. !!! "

" إن أبي كان متزوجا عليك.. زوجته اسمها نوال.. نعم هو من كان يهذي باسمها.. لكن أختي ظننت أنني أنا.. حدث هذا منذ حوالي سنتين.. وعندما التقى بي في تلك الليلة، واجهتهُ بالأمر، لا لشيء إلا لمعرفة المزيد عن هذه القصة..

كيف حصلت؟.. ولماذا أخفاها عنا؟.. هل كانت سرا بينه وبينها، أم أننا سنكون آخر من يعلم؟
لم يجيني عن تساؤلاتي.. كان محرجا مرتبكا، غير أنه لم يكن نادما، أو لديه شعور بالذنب..

نظر إلي نظرة المشفق على حاله.. ثم تمالك أنفاسه وأخبرني بأنها كانت تعامله بلطف وحنان، بالإضافة إلى أنها كانت متألقة دائما..

لقد أحب عطرها الذي كانت تضعه من أجله والذي لم تغيّره أبدا، حتى صار هو من يشتريه لها، كانت مهتمة بنفسها، تترين له وحده.. وتنقّس عنه أعباء يومه.. لا تحاول نرفزته أو إزعاجه أو التكشير في وجهه...

كانت نوال حلمه الذي لم يستطع تحقيقه من قبل، لأنه كان فقيرا ضعيفا لا يستهوي الفتيات أمثالها.. أما حينما أصبح رجلا يمتلك المال و القدرة على تدبير أموره، فإن نوال فرصة لا تعوّض بالنسبة للطرفين..

ناهيك عن أن الفتيات الشابات في مثل سنها، تضعف أمام رجل متزوج، باستطاعته تحمل المسؤولية .. نعم لقد كانت لحظة ضعف متبادلة.. لم يتمكن من التراجع عنها..!! "

كانت الأم تصغي إليه، دون أن تقوم بأي انفعال.. غير أن الدموع غلبتها.. هذا نوع نادر، اسمه دموع الخداع.. دموع تسيل بدل الدم، حينما يطعنك الحبيب في ظهرك.. حينما تعلم أن أقرب الناس إليك.. من أضعت أجمل سنين العمر من أجله.. من ذبلت زهرة الشباب في خدمته.. يستغفلك، و يبدّل المعروف بالخيانة..!!
" لكن من أخبرك أنت بكل هذا .. ما يديني لعلك مخطئ في حق أبيك..؟"

تقولها بأنفاس متقطعة كأنّ صخرة سقطت على صدرها فمنعتها من التنفس..
" لا يا أمي..لقد واجهته و اعترف..ولقد حاول قتل نفسه بشيء حاد..لكنه..لكنه..!! "
" أكمل ما دهاك؟ "

" أنصتي يا والدتي.. مؤخرا قابلت أشخاصا، خلف المقبرة..
حيث كنت أحتلي بنفسي كثيرا..لم يكونوا من الإنس.. غير أنهم لم
يؤذونني..و هم من أخبرني بهذه الأخبار..

و لقد رأهم أبي تلك الليلة، فانخلع قلبه لرؤيتهم .. ورغم أنني
سارعت به إلى البيت، إلا أن قلبه توقف بسبب سكتة .. أردته
قتيلا.. و لقد أخرجت من يده الشيء الحاد، كي لا يعرف أحد هذه
القصة..وبأنه كان يحاول قتل نفسه..

أما نوال فلقد تكفلت الجن بها..و هي التي ساعدتني في إبقائك
ناائمة حتى الصباح.."

ضمّت طرفي يدها على حجرها بشدة، وأخذت تروح و تعيء
وهي جالسة في مكانها، هي علامات القلق والغضب، ضاقت عليها
نفسها.. ..

لم تُعر قصة الجن أي اهتمام، فمصيبتها أدهى و أمر..
ما الذي جلبه عليها زوجها..الخزي والخذلان.. شماتة الناس،
وإشباع طمع الحاقدين فيها..

هي لا تعادي أحدا، لكن بعد اليوم كل أهل القرية صاروا أعداءها.. لن تدعهم يمسّون شعرة من المرحوم.. شرفه من شرفهم.. وعرضه من عرضهم.. ستدافع عنه، ليس حبا فيه، ولكن و للأسف.. اسمهم مرتبط باسمه.. وحتى لو أساء هو إلى نفسه و إليهم، سيبقى زوجها الحنون الوفي...

فجأة زمجرت قائلة:

" خسارة عليك يا راجل..!!! "

أظن أن مثل هذا الذنب لا يُغتفر.. خاصة بالنسبة لزوجة وفيّة مثلها.. كيف استطاع استغفاله.. كيف سوّلت له نفسه أن يتزوج غيرها..

حقه؟؟ لا والله ليس بحق، أن تكسر خاطرها، من أجل إرضاء امرأة أخرى.. ليس بحق، أن تنام على سرير واحد مع غيرها، ثم تعود إليها كأن شيئا لم يحدث..

" هل ألتقيت بها يا وائل؟؟.. هل كانت أجمل مني؟ هل كانت تعلم بوجودي؟ هو لم يكن الرجل الذي تتخاطفه النساء.. لكنه كان زوجي، و لم أعرف رجلا سواه.. لو كنت ممن تخالط الرجال وتجعلهم يستمتعون بشيء منها، بضحكتها، بهزارها، بملاطفاتها،

لهان عليّ الأمر.. و لتفهمت أنه حاول أن يجد رجولته عند
غيري.. لكني و الله لم أخنه.. ولم أفكر حتى مجرد التفكير في غيره..
لا أحد يجروّ على الاقتراب مني، رغم أنه كان يغيب كثيرا،
وكنت أضطر إلى الخروج لقضاء حوائجي ..

لو كنت ممن تجعل الرجال يطمعون فيها.. أو تطمع هي في
أحدهم.. لقلت لا بأس هذه بتلك...قهرتني يا هذا.. حطمتني...
حسي الله..."

ولأن الأحزان لا تأتي فرادى...دخل وائل غرفته وأخذ حقيبة،
ثم بدأ في جمع أغراضه، كأنه ينوي الرحيل..
هو يشعر بتأنيب الضمير، كان عليه أن لا يخبر والدته بالذي
جرى.. لم يكن قويا لتحمل تكاليف الحياة، أو إصلاح الفوضى التي
تحيطه.. لن ينفعه سوى المغادرة..

لم يترك شيئا مهما إلا و حمله.. ملابسه، صورته، عطره، وحتى
شرائط الشاب حسني، التي ما إن تضعها بين يديك، حتى تشعر
بالعشق يتسرب إلى عروقك..

لا يمكنك أن تحب حبا عفيفا رومانسيا، دون أن تستسلم،
وتتصاغر أمام صوت الشاب حسني، هو من جنس غير كل
الأجناس، فوهة غرام انفجرت يوما ما في عالمنا!!



" لا يا وائل.. لا تفعلها.. لا تترك أمك المسكينة لوحدها، أنا في

حاجة إليك.. ضربتين على الرأس تؤلم.."

نظر إليها وائل، و عانقها بشدة..

" تعلمين كم أحبك يا أمي.. وبالمناسبة أنا لا أكره أبي رحمه

الله.. ولن أحاسبه على شيء.. اهتبي بنفسك.. وبأختي الحبيبة..

سأعود يوما ما، أرجوك أن تتفهمي أن عليّ الذهاب، لقد كان وعدا

بيني و بينهم.. تعلمين من هم يا أمي.. لا يمكنني التراجع الآن..

سأسافر برفقتهم كي أردّ لهم الجميل.. لكن تأكدي أنني سأعود

يوما.."

ثم وضع في يدها ظرفا مغلقا.. وأكمل قائلا:

" لا تفتحي هذا الظرف، إلا في الحالات الطارئة.. عندما

تفشلين في المواصلة.. أو يصيبك أمر خطير.. حينها ستجدين الحل

داخله.."

قبّل رأسها و خرج مسرعا قبل أن يضعف أو تغلبه عواطفه..

وقفت الأم وحيدة، يحيط الظلام بها و بأفكارها..

(اللي ما عندو الرجال.. يصبر على الحفرة..) نعم هذا مثل قديم عندنا.. إذا لم تجد الرجال حولك، فعليك أن تتعلم الصبر على المهانة !! دائما ما تكون الهموم شديدة، و المشاكل عويصة، عندما نفتقد الرجال.. أولئك الذين يتقدمون عندما يتأخر الجميع، من حينما تراهم تشعر أنه ليس عليك التفكير في حلول، ليس عليك إلا أن تصدقهم وتمشي خلفهم، فكلمتهم واحدة، وغايتهم أن ينجو الجميع حتى ولو بدلوا أنفسهم وحياتهم في سبيله، تراهم لا يهابون الوقع، و لا يلتفتون وراءهم إلا للاطمئنان على من خلفهم.. همّهم الوحيد، سعادة من حولهم حتى ولو كانت على حساب سعادتهم هم.. أظن أن هذا هو تعريف الرجال.. فانتبه لذلك !!..

حينما علمت الأخت برحيل وائل، أجهشت بالبكاء وراحت تعاتب والدتها..

" لماذا أغضبتِه..؟ لأنه رفض زواجي؟ الله يلعن أبو الزواج !! لو طلبت رأيي لكنتُ قد رضيتُ بقرار أخي.. أموت عانسا، لكن لا أفقد أخي... فلتذهب الدنيا و لذتها.. المهم أن يبقى أخي.. سأشتاق إليه يا أمي... لماذا فعلت هذا..؟ لماذا..؟ "

لن تحاول الأم أن تشرح لها الحقيقة، وهي في هذه الحالة من الإحباط.. لقد وقع سوء تفاهم .. هذا ما يجعل الحياة كئيبة عادة، ويفضي إلى خيبات الأمل.. هذا ما يريب بيوتا بأكملها، ويفكك أسرا ومجتمعات...سوء الظن و التفكير في سلبيات الأمور..

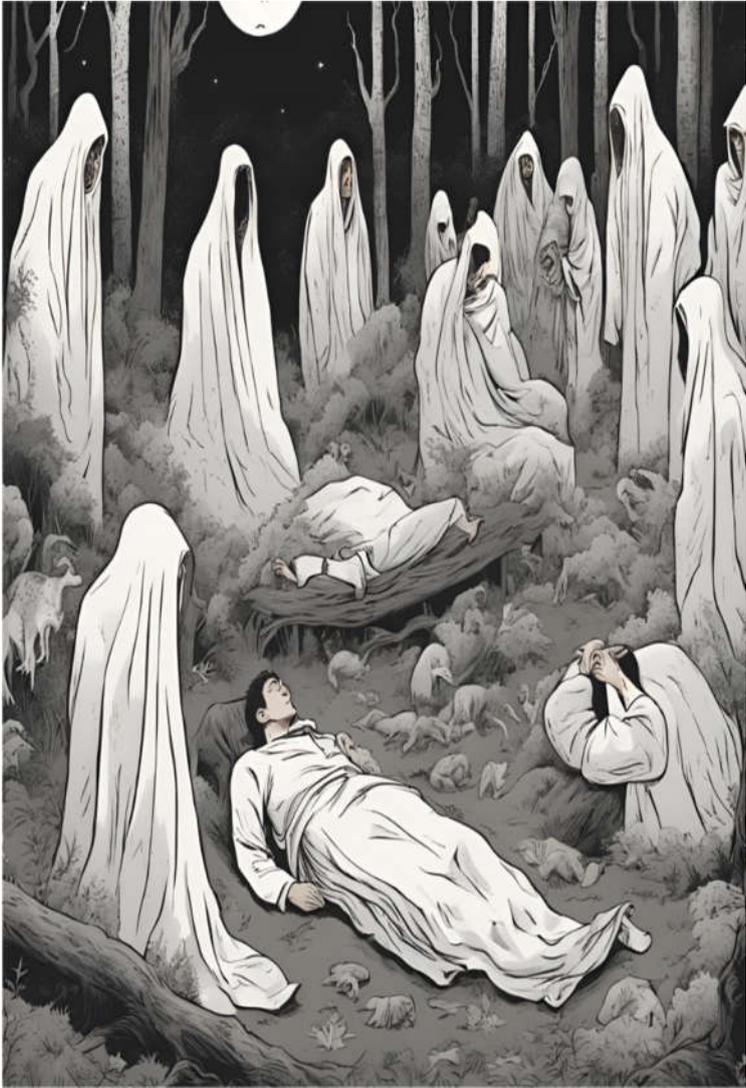
أظن أن الأفكار إذا استقامت على نهج واحد بين الأطراف.. فإنها ستريحهم و تجعلهم يستمتعون بالحياة..

وحتى ولو كانت هذه الأفكار في الأصل غير سليمة.. لكنها سوف تجمعهم وتجعلهم يتعايشون بسلم بمجرد الاعتقاد بها والاتفاق عليها.. ومن يتشبَّث في العِشرة و ناسها، عليه أن يرضخ لأفكار شريكه، و يقبلها، ما لم تودي به إلى تفریط، أو نقض في المواثيق واختلال في الموازين، بل يجب عليه و الحالة هذه، أن يؤمن بها، ويدافع عنها.. و إلا فما يكون الإيمان غير هذا إذا..؟؟

أخذ وائل في السير نحو المجهول، محاولا أن لا يتكلم إلا للضرورة، لأنه الوحيد الذي يمكنه رؤية أصحابه، ولو رآه الناس يتحدث، لظنوا أنه مجنون، فمن غير المعقول أن يكلم الإنسان نفسه بصوت مرتفع إلا إذا كان مخبولا، اللهم إلا همسات تخالج

المرء من حين لآخر فتراه يبتسم بلا سبب، أو حتى يتلقّظ بشيء غير مفهوم، لأن بداية الحوار تدور عادة داخل الدماغ، فلا نسمعها، ثم تنطلق آخر الكلمات حين يعجز العقل عن تحملها !!
لا يعلم إلى أين يسير، وحين تغيب الشمس، يتوقفون كلهم حيث انتهوا، و يبيتون بالعراء، حتى الصباح ..

طبعاً وائل ليس خائفاً من النوم في مكان مظلم مجهول.. لأن أقصى ما يمكن الخوف منه، هم أصحابه الذين يرافقونه، دعك من أنهم لا ينامون، وهو لا يحب الاستماع إليهم عندما يجتمعون ليلاً مع غيرهم، فلربما سيعلم أكثر مما يجب أن يعلمه !! لذلك هو يغمض عينيه و ينام..



قد تتساءل، لماذا كل هذا التعب؟ أليست تملك الجن قوى خارقة تجعلها تنقل بسرعة من دون عناء؟..

ورغم أنني لست متأكدا من الإجابة، غير أن قدراتهم لا شك تتفاوت، فمنهم من يحلُّون ويظعنون، ومنهم من يطير، ومنهم من يمتلك دوايا، و منهم من ينتقل بطرق أخرى.. والله أعلم..

المهم أن الرحلة كانت متعبة، مليئة بالعجائب، يلتقي بين الفينة والفينة بخلق غريب، وجوه لا سمات لها، بعضها ممسوح، وبعضها خليط من الصفات البشرية و الحيوانية، تجيء على حين غفلة، منها من تصدر أصواتا بحوافرها.. ومنها من تظهر من العدم، لكنها كلها وبدون استثناء تعود من حيث أتت، بعد أن تجتمع بأصحابه.. تارة يطول الاجتماع، وتارة تكاد تحس أنهم جاؤوا..

أخيرا اقترب وائل من توقّع المكان الذي سيقومون فيه، فمنذ مدة لم يأتهم أحد، كما أن أصحابه أخذوا في إقامة طقوس غريبة، وبدأوا يغيّرون أشكالهم وألوانهم، كأنهم يستعدّون لملاقاة أحدهم، نسيم هواء بارد ينتشر حولهم.. إنهم قريبون جدا من البحر..

فجأة توقفوا و أشاروا إليه بالتقدم وحده، هناك ضباب
كثيف.. بدأ في التقدم ببطء شديد، التفت خلفه، فلم يجد أحدا،
وبعد أن انقشع الضباب، تراءى له منظر مريع..
شبح عظيم يسد الأفق يقف وسط البحر، عيناه سوداوان،
رأسه يكاد يلامس السحاب، وأسفله داخل البحر.. لا يملك
جسما.. مجرد دخان..



سقط وائل أرضا من هول ما رأى.. وشعر كأن الشبح يجذبه
إليه، وكلما اقترب منه، صار صعبا عليه أن يتنفس، كأن
الأكسجين يقل أو ينعدم.. كأن أضلاعه تنطبق عليه، شهق
بحرقة، ثم غاب عن الوعي..!!

هل هو بين الأحياء، أم صار بين الأموات؟.. لا يعلم العالم
الذي هو متواجد فيه.. قد يكون في عالم موازي بين العالمين !!
يسمع أصواتا كثيرة متداخلة، بعضها مألوف لديه.. هذا صوت
أبيه.. لا لن يخطأ فيه.. لكن كلامه غامض، مجرد حروف لا معنى
لها .. هناك أصوات أخرى سمعها من قبل، لكنه لم يستطع
تذكرها.. جسمه يرتطم بأجسام أخرى كثيرة، هو لا يقدر على فتح
عينيه.. ولا يشعر بأطرافه، لا يدري أواقف هو أم مستلقي.. أما
الزمن فلا يعرف عنه شيئا.. ربما لبث يوم أو بعض يوم، أو أكثر..
عجيب كيف تغير الظروف إحساسنا بالوقت .. فساعات الحزن
مثلا أطول من ساعات الفرح، و أول العمر أسرع من آخره!! أخيرا
توقفت الأجسام عن الارتطام به.. وتمكّن من فتح عينيه بصعوبة،
وبحذر شديد حاول الالتفات يمينا وشمالا، دخان.. مجرد دخان..

وجد نفسه كأنه سابح في الفراغ.. يرى أشكالا غريبة.. كلابا مذبوحة، ورؤوس حيوانات ملطخة بالسواد، تتحرك دون جسد، دمي مصنوعة من القش، عُرسَت فيها دبابيس بأسلوب متقن، كانت تحيط به، كأن بينه وبينها حقالا أو مجالا مغناطيسيا يجعلها تدور به دون أن تلمسه..

فجأة احترقت الدمى.. وكلما اشتعلت واحدة، سُمع لها صراخ، وعويل، كأن داخلها أجسادا تشتعل، تستنجد، وتطلب الخلاص..!!
لم تكن دمي عادية، بل كانت سحرا يدمر من فُعل لأجله.. هي أرواح شريرة، موجهة لأشخاص بعينهم، هذا لقطع نسله، و هذا للتفريق بينه و بين زوجته، و آخر لإعدامه و تجريده من أمواله وممتلكاته.. وغيرها من الشرور كثير..

رغم ذلك، هو لا يزال مغشيا عليه، وكل ما شاهده و أحسّ به كان في عقله الباطني فقط.. ولن يستردّ وعيه، إلا بعد أن يُأذن له !!
لكن من يتحكم فيه؟ وماذا يريد منه..؟

لقد كان هذا الشبح، الشيطان.. تملكّ وائل، فأصبح يحركه مثل ما يشاء.. لقد سلّمه نفسه، ولا حيلة له بعد اليوم، ربما

سيمتلك بعض القدرات والخوارق، لكنه لم يعد إنسانا.. إنه مجرد أداة في يد الشيطان.. نعم مجرد أداة..

بعد أن أفاق، زال عنه الخوف، ثم جلس والبحر يحيط به من كل جانب.. ينتظر ما سوف يُملى عليه.. لا يعلم كم مرّ من الوقت، فالظلام دامس، و الأمواج عالية.. و ليس يرى سوى جنود من الجن، لا يكفون عن الدخول على سيدهم.. بوقار يقتربون منه ولا يسبقونه الكلام، منهم من يُلقى إليه الأمر فينصرف.. ومنهم من يشير إليه الشيطان بسبابته فيحترق في مكانه!!!

أما وائل فلعل أبرز مهمة سيقوم بها، هي إحضار أناس آخرين، كقربان للشيطان، ليحتنكهم فيصبحون من أتباعه.. مثلما حدث معه هو ..

لم يكن العمل الذي كلفه به صعبا.. مجرد كتاب قديم أمره أن يأخذه إلى مكان وراء البحر، يقع شمال المحيط الأطلسي.. ثم يعود حينما يستدعيه مجددا..

حمل الكتاب بين يديه وانطلق ماشيا فوق الماء، إلى وجهته القادمة كعبد مأمور!!!

في طريقه صادف مخلوقات عجيبة متنوعة، لكن الذي جلب انتباهه، هو كائنات هلامية لا تمتلك شكلا ثابتا، تنتشر في كل مكان، ولا تتوقف عن إصدار الأصوات، كأنها تريد أن توصل إليه شيئا لكنها هي نفسها تجهله..

أما صورتها الظاهرة، فتتغير كل لحظة دون سبب، تارة تظهر باسمه، و تارة أخرى تبدو عدائية متوترة، والغريب أيضا أنها تتراجع هربا كلما اقترب منها، و عندما استطاع أن يُمسك بواحدة، التفت حوله و كادت أن تخنقه. لولا أنّ البقية هاجموها، كأنها ليست فردا منهم...!!

ألا يذكرُك هذا بكائن يعيش بيننا..؟؟!!



عند أول يابسة مرّ بها، توقف لاسترجاع أنفاسه.. استلقى على ظهره، ووضع يديه خلف رأسه و حلّق ببصره في السماء..

" أه.. كم اشتقت إليك يا أمي.. "

فجأة لاح بين السحب وجه أمه وهي تبكي، داخل غرفة ضيقة، يكاد النور يتسلّل إليها عبر قضبان فتحة في الجدار.. ناس كثيرون حولها يتكلمون دون توقف، وهي تسدّ أذنيها بكفّهما..

انتفض وائل من مكانه، فزعا.. لكن المشهد توقف..

" أمي.. أمي.. لا تنسي الظرف.. أرجوك.. هل تسمعينني يا أمي..؟ "

الظرف الذي أعطيته لك قبل رحيلي.. إفتحيه، وستجدين داخله ما يخفّف عنك.. ستجدين الحلول، بمجرد فتحه.. هكذا أخبرني الرجل الضخم... هل تذكرين يا أمي..؟ "

في الجانب الآخر من العالم، و في القرية الصغيرة، تعاني الأم المسكينة الويلات.. رفقة ابنتها، التي لم تكفّ الألسن من الحديث عنها..

ضاقت عليها الأرض بما رحبت و لم تجد ما تسدّ به فاقتها ..

لكنها اليوم شعرت بابنها وائل يكلمها ..في البداية ظننت أنها تهيّؤات، لكن سرعان ما اقتنعت أنها رسالة صوتية من وائل..
سبحان الله .. الظرف يا أمي الظرف..!!

أسرعت إلى خزانها و أدخلت يدها تحت الثياب، لتُخرج الظرف، لكنها ترددت في فتحه، أرادت أن تعيده حيث كان، لقد كان يحمل ذكريات مؤلمة.. ذكريات حاولت أن تنساها.. لكن الحياة أصعب مما نتوقعه..

أخيرا سينتهي التشويق، وستفتح الأم سبب نجاتها وأسرتها.. هكذا وعدها وائل في ذلك الزمن البعيد .. ما هذا..؟؟؟ ورقة؟؟!!... مجرد ورقة؟؟!! كادت أن تمزقها و هي تحاول فتحها.. لكنها تفاجأت عندما قرأتها..

" آه يا رب.. ما هذا؟ (أ ن خ ه ي ل) ... لقد تذكرتها.. هذه الأحرف وجدتها مكتوبة على جيبتي في تلك الليلة المشؤومة .. لكن ماذا تعني؟ و ماذا سأفعل بهذه الورقة اللعينة؟ "

عادت البنت متعبة من عملها، وإذا بها تسمع أمها تكلم نفسها، فألقت السلّة التي كانت تحملها أرضاً، و توجهت إليها كي تطمئنّ عليها..

" ما بك يا أمي؟ سمعتك تحدثين نفسك.. هل أنت على ما يرام..؟"

" نعم يا عزيزتي.. أنا بخير.. هل بيعت الخبزات كلها؟ "

" أف !! لم أبيع غير واحدة.. و اقتسمت واحدة مع صديقتي التي كانت تبيع المناديل بجانبني.. كنا جائعتين.."

"لا بأس عليك يا بنيّتي، فلتطعمينا ذاك الخبز و لتحضري معه ما تبقى لدينا من حليب البارحة.. و لنأكل باسم الله.."

أعادت الأم الظرف إلى مكانه، بعد أن كانت تخفيه في جيب مئزرها، خوفاً أن تلاحظه ابنتها.

وإن كان الولد صنو أبيه، فإن البنت مرآة أمها.. ولقد عرفت الشابة أن أمها تخفي عليها أمراً، لا بد من اكتشافه حينما تكون الظروف ملائمة..

في المساء كانت ربّة البيت تخطط بعض الثياب قرب نافذة الصالون، التي تنبعث من خلالها أشعة شمس آخر النهار. اغتنمت البنت الفرصة، و اتجهت إلى الخزانة، ثم أخذت تفتش داخلها، لعلها تجد الشيء الذي كانت تخفيه عنها أمها..

وبالفعل تمكنت من الحصول على الظرف، الذي كان طرفه ممزقا، وأخرجت منه الورقة..

" ماذا تفعلين في غرفتي؟ وما الذي جعلك تفتشين في أغراضي؟ يا لك من حمقاء!! "



" أردت أن أعرف ماذا يوجد داخل هذا الطرف، و لقد فتحتة،
لكني لم أجد غير هذه الورقة .. ما السرّ، الذي تخفينه عني يا
أمي..؟ "

" لا يوجد سر .. هذا ما تركه لنا أخوك، عندما أراد الرحيل،
قال أنه سيساعدنا إذا ضاقت الأمور... سامحه الله !! "

" أن خ ه ي ل .. أن..خ..ه..ي ل .. أن خ ه ... ي ل..
لاأظنها تعني شيئاً!!! لكن ..أمي .. أمي .. إن هناك ما يخالجنى.. أنا
أشعر بثقل في رأسي.. أمي.. أه..."

فجأة حلقت ببصرها في السماء حتى لم يظهر من عينها غير
بياضها، و ألصقت ذراعها بجنيها، و تغيرت نبرة صوتها إلى صوت
رجل..

" لماذا ناديتموني؟ ما الخطب؟ "

وقفت الأم متسمرة في مكانها، مندهشة من الذي يحصل
أمامها..

" ممممم..من أنت؟ "

" أنا جنّي من خيرة قومي و أقواهم، و اسمي أبو دؤسان، لا
أستجيب لأحد من الإنس، إلا للذي يناديني (أن خ ه ي ل)، فهذا

اللقب لا يطلقه علي إلا خاصّتي.. و لقد جنّتكم بناء على طلبي ثلاث

مرات متتالية، و الآن ماذا تريدون مني؟ "

بالكاد بلعت الأم ريقها، ثم جثت على ركبتيها، دون أن تحيد

بصرها عنه.. و راحت تحاول بدكاء أن تصرفه عنها..

" كان خطأ، لم يستدعك أحد، و أنا أصدّقك أنك من خيرة

قومك، لذلك لا أريد منك إلا أن تتركني و شأني، و تعيد إلي ابنتي،

و أعدك أن لا تتكرر هذه الغلطة.. أرجوك لا تؤذني.. "

تنفس بشدة، جعلت هواءا حارقا يخرج من فم البنات

المسكينة.. ثم أردف قائلا..

" أظنك لا تفهمين !! أنا هنا لمساعدتك، فمنذ زمن بعيد،

أنقذني رجل فقيه من جنسكم، ولولاه لاحترقْتُ و لاحتقرت معي

ذريّتي جمعاء، كان كريما متواضعا، شديد البياض، فارح الطول،

أظنه كان فلاحا، و لكي أردّ جميله، علمته كيف يناديني إذا

احتاجني هو، أو غيره ممن يختاره، و هأنذا بين يديك، لا عمل لي

سوى تلبية طلبك، فأسرعي كي أعود إلى قبيلتي.. "

" ردّ إليّ وائل ولدي...!! "

انطلق الكلام من فمها بعفوية ، من دون أن تفكر فيه، وكأنه الدعاء الوحيد الذي كانت تكرره كل يوم منذ رحل عنها ولدها..
عندها شهقت إبتها مطوّلاً، وهي تسحب أنفاسها إلى داخلها، تحاول أن تستعيد الحياة، كي يعود إليها وعميها، ففهمت الأم أن الجان ذهب لتنفيذ طلبها.. وترك الجسد حراً كما كان..
نعم لقد خرج منها، و عادت إلى طبيعتها.. ذهبت إلى المطبخ وأخذت من على الرّف كوباً، سكبت فيه قليلاً من الحليب..
" لقد سئمتُ هذه الحياة، ألا يوجد شيء آخر نأكله.. حتى القشط تملّ من شرب الحليب كل يوم.. أف!!!"
الحمد لله أنها لم تتذكر شيئاً مما جرى لها..

خلال دقائق قليلة، توصلّ الجان إلى المكان الذي يتواجد فيه وائل، على جزيرة وسط المحيط.. لكن الوقت كان قد فات، من أجل محاولة إصلاح الأمور.. لقد فتح وائل الكتاب القديم الذي كان معه، علّه يجد فيه ما ينفعه، فمن المستحيل أن يبعث الشيطان كتاباً، إلا إذا كان مهمّاً، ربما يكون فيه أقوى أنواع السحر، ربما سحر الفودو أو كبالا!!.. أو أقوى من ذلك بكثير!!..

لقد بدأ فعلا في قراءة الطلاسم و التعويذات المكتوبة داخله..
إن الفضول شدّه، لتعلم الأذى، كأنه يختبر نفسه التي لطالما
ادّعت أنها طيّبة، من غير أن تكون لها فرصة لفعل الشر..
كيف يمكن لها أن تزعم أنها صالحة إذا، و هي لم تتمكن من
الإساءة...؟ ها كيف..؟

شيئا فشيئا، امتزجت روحه بالكتاب فعلا.. بعد قليل سيُسلب
عقله، و لربما سيشتعل جسمه.. وحتى و إن نجى الآن فإنه لن
ينجو بفعلته عند الشيطان، فهو لم يسمح له بقراءة الكتاب..
الويل له عنده...!!



تدخّل الجنيّ أبو دؤسان بسرعة، وحاول إغلاق الكتاب، لكنه
يأبى إلا أن يظل مفتوحا.. حاول، وحاول بكل ما أوتي من قوة، لن
يتركه يضيع.. وائل يستمر في قلب الصفحات بسرعة، رأسه ثابتة،
عيناه فقط تتحرك يمينا و يسارا.. وكلما مرّ على كلمة مُسحت من
الكتاب !! حتى أصبحت الصفحات الأولى منه فارغة، كأنه مجرد
أوراق صنعت من جلد حيوان ميّت..

هو يواصل القراءة دون توقف، لقد استولى عليه السحر، لم
يعد يتحكم في نفسه.. تطفن الجان أخيرا إلى فكرة أن يقوم بقلب
الكتاب بدل محاولة غلقه..

لكن الفتى يقاوم بشراسة شديدة.. ولم يكن هناك من وسيلة
أخرى غير ضربه بقوة.. كادت ترديه قتيلا.. في نهاية المطاف نجح في
قلب الكتاب.. ثم أغلقه أخيرا.. عندها أخرج من رداؤه قارورة، فتح
فوّهتها و قرّبها إلى فمه ثم بدأ في التلاوة و النفث داخلها.. ليقوم
بعدها بسكب قطرات منها في فم وائل والمسح على رأسه دون أن
يتوقف عن التلاوة..

هل بمقدوره أن ينجح في إنقاذه..؟

سقط الجنيّ، واستلقى بجانب وائل، كان منهكا، خائر القوى،
لقد تمزّق رداؤه من هول ما عاناه في سبيل استرجاع الشاب
المسكين و تخليصه من السحر الذي مسّه..!!

ببطئ حاول إيقاظ وائل الذي كان مغى عليه.. جذبته عدّة
مرات من قميصه، لم يتجاوب معه في بداية الأمر، لكنه سرعان ما
حرّك شفّتيه.. " ماء..ماء.."

" الحمد لله لقد استعدت وعيك.. سأبذل شفّتيك، قبل أن
تستطيع الشرب..ساعدني..إرفع رأسك قليلا.. "

حينها تصاعد بخار كثيف من بين كتفيه، تشنجت أصابع
يديه، هو يحاول أن يلفظ الأرواح الشريرة التي تسكنه.. كان
المنظر مفرعا، جماعة من الجن تطوف بهم، تقذفهم من بعيد
دون أن تقدر على الاقتراب أكثر، تأتيهم من فوقهم و من خلفهم،
شكلها كأنها خفافيش متوحشة، تمتلك أجنحة تنتهي بثلاث أصابع
أو أربع.. تعلق حولهم.. تُهمهمُ كأنها تستغيث، ثم تصدر أصوات
صراخ، كان لعبها يتقاطر من فمها.. و تهيمّ بالهجوم..



فجأة دخان أسود يخرج من فم وائل و يتصاعد في السماء
ترفع الأشباح بصرها محدّقة إليه..ثم تتبع الدخان و تطير بعيدا..
" الحمد لله الذي أنجأك..!! "

أخيرا تخلّص وائل من هواجس السحر، لقد كان متعبا، لم
يستطع تمالك نفسه.. وضع رأسه على ذراع أبي دؤسان..وتبسم
إليه..

بعد أن استراحا، قص عليه كامل القصة، وكيف وجد أمه
التي طلبت منه أن يعثر عليه، ويعيده إليها..

لكن الأمر لن يتوقف عند هذا الحد. فوائل مرتبط بعهد مع
الشیطان لن يستطيع فكّه أبدا، ولن يسلم من أذاه و من عقابه..!!
" قُم معي يا ولدي.. فأما العهد الذي بيني وبين الفلّاح الضخم
من قبيلتكم، فلن ينتقض، حتى تنجو أنت و أسرتك.. وأما العهد
الذي بينك و بين الشيطان فسأبطله أنا..!! فلا تهتم لذلك.. "

بعدها حمل وائل بين ذراعيه، وطار به إلى قريته، وعند
مدخلها، ودّعه بحرقه.. كأنه يودّع الدنيا معه، هو يعلم مصيره،
الذي لا بد منه..

"إسمع يا بني..هي حكاية عشتها، وانتهت.. لا تحاول التفكير فيها
مرّة أخرى.. عليك أن تستمر في الحياة من جديد.. عليك أن تقترب
من الله، و تمتثل لأوامره.. الصلاة.. الصلاة.. لا تهاون فيها.. ولن
أوصيك بوالدتك.. أعلم أنك تحبها، لكن حاول أن تكون مهذبًا،
متواضعا معها.. عندما تدخل القرية، ابحث عن رجل اسمه
جواد.. لقد رحل إلى قريبتكم مؤخرًا.. هو رجل طيب خلوق..
سيساعدك في الانطلاق مجددا.. الوداع يا وائل.."

كانت هذه آخر كلمات الجان، الذي ذهب لملاقاة الشيطان،
من أجل أن يترك وائل وشأنه، ولسوف ينجح في ذلك حتى و لو
كلّفه حياته..

أما وائل فلقد عاد إلى الديار.. مُثَقَلًا بتجربة غيّرت نظرتَه
للعالم.. وبطبيعة الحال سينقذ وصايا أبي دؤسان..الذي ضحّى
بحياته من أجله....

تَمَّتْ



